Vol. 19 (2020)
ISSN: 1823-4313
https://ejournal.kuipsas.edu.my/

دور الصوفية في الجهاد في سبيل الله: دراسة تاريخية تحليلية

محمدإبراهيم الشربيني صقر

الدعوة المساعد بالكلية الجامعية الإسلامية ببهانج السلطان أحمد شاه

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان المعنى الحقيقي لمصطلح التصوف والصوفية ، وإلى دور الصوفية على مدار التاريخ في الجهاد في سبيل ودفاعهم عن ثغور الإسلام وديارة . وتهدف إلى بيان حقيقة الآثار الإيجابية والمحطات المشرقة للصوفية المعتدلة البعيدة عن الغلو، والتي تثبت اقتداءهم بالسلف الصالح في الجهاد في سبيل الله يقابلها بعض الصوفية أو المُدعيين للتصوف، الذين ساعدوا الاستعمار، وشجعوا التخاذل والاستسلام. وقد اعتمدت في هذه الدراسة المتواضعة على : المنهج التاريخي النقلي ، وعلى المنهج التحليلي المتمثل في عرض ماورد عن الصوفية من آثار تتحدث عن جهادهم ، وبذل الجهد في دعوتهم الناس إلى الله تعالى. ومن نتائج هذا البحث : فَهْمُ الصوفية الأوائل ومن سار على نهجهم على مدار التاريخ أن التصوفَ تربيةٌ وجهادٌ وليس هجراً للأوطان والأولاد . وأن دور الصوفية لم يقتصر فقط على الزهد في الدنيا وزخارفها طمعاً في الآخرة ونعيمها بل انخرطوا في لجج الحياة العامة خصوصاً إن كان الأمر دفاعا عن الإسلام أو سعياً في نشر لوائه في شتى بقاع الأرض.

الكلمات المفتاحية : المتصوفة – التصوف – الجهاد في سبيل الله.

Perkembangan Artikel

Diterima: 12/5/2020
Disemak: 22/11/2020
Diterbitkan: 15/12/2020

Penulis Utama:
Mohammad Ibrahim Asyirbini Asqar
Jabatan Dakwah,
Fakulti Pengajian Islam,
Kolej Universiti Islam Pahang Sultan Ahmad Shah (KUIPSAS), Kuantan, Pahang, Malaysia

E-mel:
ebrahim@kuipsas.edu.my

مقدمة

إن للتصوف الإسلامي دور كبير في تهذيب النفس والارتقاء بها في مقامات الإسلام، والإيمان والإحسان ، والتقوى ، والشكر حتى تبلغ الكمال؛ فيؤدي صاحبها واجبه كمقتدٍ برسول الله ρ تجاه مجتمعه؛ بالدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد لعب الصوفية الأوائل دوراً مهماً في دراسة آفات النفوس، ومداخل الشيطان إليها، وكيفية وقايتها وعلاجها. ولهم في ذلك من الممارسات والتجارب والمعارف ما ليس لطائفة غيرهم. ولم يقتصر دور الصوفية على الزهد في الدنيا وزخارفها طمعاً في الآخرة ونعيمها بل انخرطوا في لجج الحياة العامة خصوصاً إن كان الأمر دفاعاً عن الإسلام أو سعياً في نشر لوائه في شتى بقاع الأرض لم يفهموا أن التصوف قعود مع القاعدين ولا بقاء مع الخالفين بل كانوا يشكلون أحياناً تجمعاً لهم في مرابض الجهاد في الثغور

وتكمن مشكلة البحث في التصور الخاطيء عن الصوفية والزعم بأن كلهم منحرفون يدعون إلى الكسل والخمول ، وترك الجهاد ، ومساعدة أعداء الإسلام في احتلال البلاد . لذلك بينت في هذا البحث الوجه المشرق للصوفية الذين جاهدوا على مدار التاريخ ورفعوا لواء الاسلام ، وواجهوا ظلم الحكام وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان التعريف الصحيح لمصطلح التصوف ، كما تهدف لبيان حقيقة الصوفية المجاهدين الأوائل ومن سار على دربهم ، كما تهدف إلى بيان موقف الصوفية المنحرفين من الجهاد في سبيل الله وضياع معاني الجهاد الحقيقية .

وهذا البحث سيجيب على عدة أسئلة خاصة بموضوع الجهاد في فكر الصوفية ، ومن هذه الأسئلة : ما حقيقة مصطلح التصوف في اللغة والاصطلاح ؟ وما التعريف الصحيح للصوفية ؟ ما موقف الصوفية الحقيقيين من الجهاد في سبيل الله ؟ وما موقف الصوفية المنحرفون من قضية الجهاد في سبيل الله ؟

وقد اعتمدت في هذه الدراسة المتواضعة على : المنهج التاريخي النقلي ، وعلى المنهج التحليلي المتمثل في عرض ماورد عن الصوفية من آثار تتحدث عن جهادهم ، وبذل الجهد في دعوتهم الناس إلى الله تعالى.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وعدة موضوعات متعلقة بقضية الجهاد في فكر المتصوفة ، فالمقدمة اشتملت على : أهمية البحث ، وأهدافه ، ومشكلته ، وأسئلته ، ومنهج البحث ، وهيكله ، وعلى خاتمة تشتمل على نتائج البحث وتوصياته ، ثم فهرس للمراجع .

تعريف التصوف في اللغة

جاء في معجم مقاييس اللغة أن الباب كله– في تعريف التصوف– يرجع إلى الصُّوفِ المَعْرُوفِ (فالصاد والواو والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ وهو الصوفُ المعروفُ .(ابن فارس ، 1399هـ– 1979م ، ص 322)

والصُّوفُ: الشعر يغطي جلد الضأن، ويمتاز بدقته وطوله وتموجه والجمع : أصواف.(مجمع اللغة العربية ، 1421هـ– 2000م، ص 374) وصاف عني يصوف صوفاً يعني عَدَلَ (ابن عباد، 1414هـ–1994م، ص196) ، وصاف صوفاً عن كذا: مال عنه(المنجد في اللغة والأعلام، 1992م، ص441.) وتصوف فلان أي: صار من الصوفية(مجمع اللغة العربية، ص5) ويعني أيضاً تنسك(الزبيدي، صـ170.)

ومن هذا التعريفات يتضح الآتي:

أن كلمة التصوف وما يشتق منها في اللغة تدل على عدة معان: نسبة إلى الصوف، وبمعنى التنسك والعبادة ، وبمعنى عدل؛ أي عدل عن شيء إلى شيء آخر. وبمعنى مال؛ أي مال عن شيء إلى آخر.

ثانياً: تعريف التصوف في الاصطلاح

تعددت الأقوال في تعريف التصوف، كما تعددت في اشتقاقه ، وهذه نماذج لتعريف التصوف :

قيل إن التصوف: (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة وإتباع الرسول ρ في الشريعة.) (الكلاباذى، 1412هـ – 1992م، ص32.)

وقيل (التصوف الدخول في كل خلق سَني والخروج من كل خلق دَني) (الجيلاني، 1417هـ– 1997مـ– ص272)

وقيل التصوف: (علم يعرف به أحوال النفس محمودها ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم منها، وتحليتها بالاتصاف بمحمودها وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والقرار إليه) (الكردي، 1415هـ – 1995مـ ،صـ 364.)

ثالثا: تعريف الصوفي : وردت عدة تعريفات لحقيقة الصوفي أو المتصوف منها:

الصوفى من صفا قلبه لله(الكلاباذي ،1412هـ – 1992م، ص26)

وقيل: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر– أى قطع الطين– أي لا رغبة له في شيء دون مولاه. (ابن عجيبة، 1423 هـ– 2002م، ص15)

وقيل عن الصوفية: هم العلماء بالله وبأحكام الله، العاملون بما علمهم الله تعالى المتحققون بما استعملهم الله Y، الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لأن كل واحد قد فني بما وجد . (الطوسي، 1421 هـ ،2001م ، صـ29) .

من هذه التعريفات يتضح لنا أن المعني الاصطلاحي للتصوف يقوم على: تصفية القلب لله Y، وتنقية هذا القلب مما يشوبه من الأمراض، وتزكية النفس من الآفات والمذمومات، وكف الجوارح عن المحرمات، واستخدامها في طاعة الله Y ويمكن أن نقول:

إن الصوفي الحق هو من يُحكِّم كتاب الله وسنة رسوله ρ في شتى مجالات حياته، هو من يأخذ بأيدي الناس إلى طريق الله ويبين لهم الحلال والحرام، هو من يقوم لله بالليل قانتاً محتسباً، يحذر الآخرة، ويرجوا رحمة ربه تعالى، وهو بالنهار مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله ، فمن شذ عنه فليس صوفياً وانتسابه إلى المحراب الصوفى كذب وافتراء.

الجهاد في فكر المتصوفة

فهم الصوفية الأوائل ومن سار على نهجهم على مدار التاريخ ؛ أن التصوف تربية وجهاد وليس هجراً للأوطان والأولاد، وإذا كانت في عصور لاحقة على بدء النشأة قد طرأت على التصوف عوامل ومؤثرات سلبية من فلسفات وعقائد دخيلة تتناقض مع الإسلام في وجوه كثيرة، إلا أن الكثير من الطرق والزوايا وأتباعها لها دور بارز في نشر الإسلام، والدفاع عن ثغوره وديارة.

ويؤكد ذلك أن الزوايا سميت في البدء– خاصة في المغرب العربي وبعض البلاد الإفريقية الشمالية الوسطى– رباطات، وهي مشتقة من رباط الخيل التي وردت في الآية الكريمة: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ] (الأنفال:60)

ومن الرباط أيضاً: رابط الجيش في الثغر، أي أقام فيه للحماية والمدافعة، وسميت الإقامة في الثغور: مرابطة، ومنها اشتهر في المعرب «مربوط».

والرباط في الإسلام: شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، باب: فَضْلِ رِبَاطِ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ – برقم : 2892) (السحمراني ، 2007م ، ص191، 162.)

وفي هذه السطور التالية نتعرض لبعض النماذج من المتصوفة الذين جاهدوا في سبيل الله وفهموا التصوف على أنه تربية وجهاد، ورباط على الثغور.

1. شَقيقُ البلخي:

وهو شَقيقُ بنُ إبرهيمَ، أبو عليٍّ الأَزْدِيُّ. من أَهل بَلْخ، وهو من مَشاهِيرِ مَشايخ خُراسانَ.

ومن كلامه τ: تُعْرَفُ تقوى الرَّجلِ في ثلاثةِ أشياء: في أَخْذِهِ و مَنْعِه، و كلاَمِه.

ومن كلامه: لَيْس شيءٌ أَحبَّ إلىَّ من الضَّيْفِ، لأنَّ رزقَه ومُؤنَتَه عَلَى اللهِ، ولى أَجْرُه.

ومن كلامه: جَعَل اللهُ أهلَ طاعتِه أحياءَ في مماتِهم، وأهلَ المعاصِي أمواتاً في حياتِهم. (السلمي ، 1418 هـ = 1997 م، ص62–66.)

ومما رود عن جهاده في سبيل الله، يحكي تلميذه حاتم الأصم فيقول: كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نري فيه إلا رءوساً تندر– تتساقط وتتطاير– ورماحاً تنقصف، وسيوفاً تنقطع، فقال لي شقيق: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زُفّت إليك امرأتك؟ فقال: لا والله. قال: لكنّي والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلَ ما كنتُ تلك الليلة. ثم نام بين الصفَّين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه .(ابن الجوزي ، عبد الرحمن ، ص 296)

ويعلق الشيخ حسن البنا على هذا الموقف فيقول: من هذه الحكاية تري أن القوم ψ كانوا لا يتركون عملاً من أعمال الإسلام حتى يساهموا فيه بأكبر نصيب، حتى الجهاد في سبيل الله ومجالدة الأعداء بالسيف والرمح، ولم يقعدهم عن ذلك قيام الليل وصيام النهار، ها أنت تري شقيقاً البلخي يهش ويبش للموت والكفاح، لما كان يبش لزوجته ليلة الزفاف، وينام ودرقته تحت

رأسه كأروع ما سمعت من أنباء تقشف الجنود واحتمالهم المشاق، ويسمع غطيطه بين الصفين، وهى شجاعة، ليست بعدها شجاعة، ومصورها: الإيمان الكامل والتصديق بقوله تعالى: [قُلْ لَنْ يُصِيبنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فلْيتوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] (التوبة:51). فأين هذه المهمة السامية مما ألصقه الأدعياء بالتصوف والصوفية.

فهؤلاء الصنف من الصوفية يجددون في القلب تذكر حال أصحاب رسول الله ρ إذا كان أحدهم يري أحلى أيامه يوم جهاده في سبيل الله كما قال خالد ابن الوليد: ما ليلة تُهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، في يوم شديد زمهريره، أحب إلى من أكون على رأس كتيبة من المهاجرين أصبح قوماً أو أمسيهم.

وقارن بين هذا الحال وحال الذين ألفوا الدعة والمتعة في أشد عصر وأصعبه يمر على الإسلام والمسلمين. (البنا،1416هـ-2005م ، صـ61.)

وقد استشهد شقيق البلخي في موقعة كولان في عهد المأمون سنة 194هـ- رحمه الله تعالى-.

2. حاتم الأصم:

حاتم بن يوسف الأصم، من أكابر مشايخ خراسان، وكان تلميذ شقيق، قيل: لم يكن أصمَّ، وإنما تصامم مرَّة فسُمّي به.

جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت، فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأَرى من نفسه: أنه أصمُّ، فسرَّت المرأة بذلك، وقالت: إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصمم.(ابن خلكان ، ص:28)

ومن أقواله: ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له، آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

وقيل له: ألا تشتهي ؟ فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية ؟ فقال: إن عافية يومي، أن لا أعصي الله فيه.

وَقَالَ حَاتِمٌ: الْجِهَادُ ثَلَاثَةٌ: جِهَادٌ فِي سِرِّكَ مَعَ الشَّيْطَانِ حَتَّى تَكْسِرَهُ ، وَجِهَادٌ فِي الْعَلَانِيَةِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ ؛ حَتَّى تُؤَدِّيَهَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَجِهَادٌ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي عِزِّ الْإِسْلَامِ.(الأصبهاني ، ص : 1100)

ومن جهاده في سبيل الله، أنه قال ذات يوم: لقينا الترك، وَكَانَ بيننا جولة، فرماني تركي بوهق فأقبلني عَنْ فرسي، وَنزل عَنْ دابته فقعد على صدري، وَأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وَأخرج من خفه سكينا ليذبحني به، فو حق سيدي ما كَانَ قلبي عنده وَلا عند سكينة، إنما كَانَ قلبي عند سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه، فقلت سيدي قضيت على أن يذبحني هذا فعلى الرأس وَالعين، إنما أنا لك وَملكك، فبينا أنا أخاطب سيدي وَهُوَ قاعد على صدري، آخذ بلحيتي ليذبحني، إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت أنا إليه فأخذت السكين من يده فذبحته! فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.(البغدادي، 1417 هـ ، ص: 238)

3. الشيخ أبو الحسن الشاذلي:

خرج الشيخ أبو الحسن الشاذلي– مؤسس الطريقة الشاذلية– ومن معه من علماء مصر على رأس الجيوش لمقاتلة لويس التاسع زمن حكم المماليك لمصر، حيث هزموه في معركة المنصورة الشهيرة.(القشيري ، أبو القاسم ، ص80.)

وقد تجاوز الشيخ الشاذلي الستين من عمره، وقد كان كف بصره، ومع ذلك فإنه ترك بيته وذهب إلى المنصورة مساهماً في المعركة بقدر استطاعته لقد كانت المعركة شغله بالنهار، وشغله بالليل، لقد كانت تشغله مستيقظاً فيمر بسمته الوقور، وبهيبته المستمدة من تقواه، بالنور يشرق من وجهه بين الجنود، مشجعاً، حاثاً، مشيراً بالنصر وبالجنة، فإذا ما جن الليل، أخذ يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى، متضرعاً، خاشعاً، راجياً التوفيق و النصر للأمة الإسلامية.

وفي ليلة من الليالي رأى رسول الله ρ في رؤيا طويلة وأصبح τ يبشر بالنصر.(الغزالي ،1394 هـ = 1974 م ، ص 9).

4. الشيخ أبو حامد الغزالي والشيخ محيي الدين بن عربي:

على الرغم مما قيل عن ابن عربي من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من الأقوال التي قد تكون منسوبة إليه إلى أنه قد ورد عنه أنه كتب للملك الكامل حين تهاون في قتاله للصليبيين وقال له: إنك ديني الهمة، والإسلام لا يعترف بأمثالك فانهض للقتال أو نقاتلك كما نقاتلهم.

وكتب كذلك أبو حامد الغزالي– حجة الإسلام– إلى ابن تاشفين ملك المغرب أثناء حروب الأندلس: إما أن تحمل سيفك في سبيل الله، وإما أن تعتزل أمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك.(منصور، عبد العزيز ، ط:1996م، صـ229.) إلى غير ذلك مما كتبه الغزالي في الإحياء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الحسبة، وما ضمنه في كتبه الفقهية والأصولية من الحديث عن الجهاد في سبيل الله .

5. الشيخ شمس الدين الديروطي الدمياطي:

من الصوفية المجاهدين في القرن التاسع الهجري الشيخ شمس الدين الديروطي الدمياطي ، كان في الجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري كان τ مهاباً عند الملوك، والأمراء، ومن دونهم زاهداً، ورعاً مجاهداً صائماً قائماً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

وذكر أنه حط مرة على السلطان الغوري في ترك الجهاد فأرسل السلطان خلفه فلما وصل إلى مجلسه قال للسلطان: السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته فلم يرد عليه فقال: إن لم ترد السلام فسقت، وعزلت فقال: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته.

ثم قال السلطان: علام تحط علينا بين الناس في ترك الجهاد، وليس لنا مراكب نجاهد فيها فقال عندك المال الذي تعمر به، فطال بينهما الكلام فقال: الشيخ للسلطان قد نسيت نعم الله عليك، وقابلتها بالعصيان أما تذكر حين كنت نصرانياً ثم أسروك، وباعوك من يد إلى يد ثم من الله عليك بالحرية، والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطاناً على الخلق، وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجح فيه طب، ثم تموت، وتكفن ويحفرون لك قبراً مظلماً، ثم يدس أنفك هذا في التراب، ثم تبعث عرياناً عطشاناً جوعاناً.

ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ثم ينادي المنادي من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله تعالى فتغير وجه السلطان من كلامه فقال كاتب السر وجماعة السلطان الفاتحة يا سيدي الشيخ خوفاً على السلطان أن يختل عقله فلما ولي الشيخ، وأفاق السلطان قال ائتوني بالشيخ فعرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين بها على بناء البرج الذي في دمياط فردها عليه، وقال أنا رجل ذو مال لا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجاً أقرضتك، وصبرت عليك فما رؤى أعز من الشيخ في

ذلك المجلس، ولا أذل من السلطان في هكذا كان العلماء العاملون، وقد صرف على عمارة البرج بدمياط نحو أربعين ألف دينار، ولم يساعده فيها أحد إنما كان يعقد الأشربة، ويتاجر في الخيار شنبر، ونحوه τ، ولم يأخذ قط معلوم وظيفة من وظائف الفقهاء، وكان ينفر طلبته من أكل أوقاف الناس، قبول صدقاتهم، ويخبرهم أنها تسود وجه قلوبهم τ .

وله من المصنفات شرح منهاج النووي في الفقه، وشرح الستين مسألة، وكتاب القاموس في الفقه...، وكان متواضعاً مع من قرأ عليهم القرآن، وهو صغير ولم يصده ما وصل إليه من العلوم، والمعارف، والشهرة عن ذلك، ولقد رأيته مرة راكباً فنزل، وقبل يد أعمى تقوده ابنته فقلت له من هذا؟ فقال هذا أقرأني، وأنا صغير حزبين من القرآن رضي الله عنه فما أقدر قط أن أمر عليه، وأنا راكب.

توفي في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وله من العمر نيف، وخمسون سنة ، ودفن بزاويته بدمياط، ودفن عنده الأخ العزيز العارف بالله تعالى سيدي أبو العباس الحريثي τ. (الشعراني، عبد الوهاب ص،662)

6. الأمير عبد القادر الجزائري:

رفع راية الجهاد في الجزائر ضد الفرنسيين، ولم يهدأ له بال من عام 1832 إلى 1837 حتى أَقَضَّ مضاجع الفرنسيين.(الندوي ،(1386– 1966م) – ص113.)

بدأ الأمير بأفراد قلائل، سري إيمانه و إقدامه فيهم، فتمثلت فيهم الشجاعة في أسمى مظاهرها، وأخذ عددهم يزداد شيئا فشيئا على مر الأيام.

أما أسلحتهم: فقد كانت ما يأخذونه من أسلحة العدو.

ولقد وجه الأمير عبد القادر النداء تلو النداء للأمة الإسلامية، من أجل العون المالي، والإنساني، ومن أجل العون في العتاد... فكانت المساهمات التي قدمت إليه مخجلة يندى لها الجبين.

ولم يثن كل ذلك الأمير عبد القادر، عن متابعة الحرب والكفاح ضد المستعمر، وحينما أسر، كرمه الأعداء أنفسهم لشجاعته وشهامته ومروءته، ولما حالت الظروف القاهرة بينه وبين الجهاد والتضحية الحربية.. وذلك بعد الأسر– مكث في دمشق يدرس التصوف... وفي أثناء إقامته

بدمشق ألف كتاب المواقف وهو في التصوف عريق، بين فيه وجهة النظر الصوفية في مختلف الموضوعات. (الغزالي ، 1394 هـ = 1974 م ص10–11.)

7. شيوخ الطريقة النقشبندية في ساحة الجهاد والإصلاح

في عام 1813م، لما هجم الروس على طاغستان واستولوا عليها، ولم يقم في وجوههم إلا هؤلاء الشيوخ النقشبنديون، حملوا راية الجهاد، وطالبوا بأن يقضى في قضايا المسلمين بالشرع الإسلامي ويكونوا أحراراً في تطبيق الشريعة في معاملاتهم.(الندوي ، 1386– 1966م ، ص114–115.) هذه الآثار الإيجابية والمحطات المشرقة للصوفية المعتدلة البعيدة عن الغلو، والتي تثبت اقتداءهم بالسلف الصالح في الجهاد في سبيل الله يقابلها بعض الصوفية أو المدعيين للتصوف، الذين ساعدوا الاستعمار، وشجعوا التخاذل والاستسلام.

" إن مدعي الصوفية منحوا نفوذاً زمن الحكام المستبدين فأصابهم حظ من الثراء أفسدوا به الدين، وبواسطة نفوذهم المقرون بالمزاعم، جعلوا كثيراً من المدارس تكايا البطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة، وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطالبيين. وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياهم رزقاً لهم، وجعلوا مداخل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم".(السحمراني ، 2007م – صـ166)

ويصور هذه الحالة السيئة الشيخ عبد الحميد بن باديس بقوله:

«لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي، والمجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية وعدد المريدين أو الإخوان [295000] مريد.

والفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم للصوفية أصبحوا بدورهم طرقيين، فساد الظلام وخيم الجمود، وكثرة البدع، واستسلم الناس للقدر، وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكرة وشل جميع الطاقات والاجتماعية الأخرى. (السحمراني ، 2007م ، ص166.)

إن الخطير عند هؤلاء الطريقين؟ أن الاستعمار قد نجح في استغلالهم بشتى الأساليب فأصبحوا معيناً له على قهر الناس، لقد وجد الاستعمار في الطرقيين المنحرفين مطية يركبها إلى أغراضه، إنه يريد أن يفسد الأخلاق ويهدم الدين في النفوس، فوجد هؤلاء المشايخ أحسن ركوبة،

وأطوع وسيلة وأخلص خادم، فصيرهم جنود في قتل الأمة، فأفسدوا دينها وعلموها الخمول والجمود، والذلة والاستسلام للعدو، وجردوها من الثقة بالنفس...وأن حظ المسلم في الآخرة، أما في دنياه فهو للشقاوة والتعاسة والحرمان.

والسبب في أنهم عملوا أداة الاستعمار هو جهلهم بالإسلام والجهاد، والرباطات ويصورهم مؤرخ جزائري هو محمد دبور بقوله:

كان هؤلاء المشايخ جاهلين فاسدين لا تهمهم إلا شهواتهم فحرصوا على بقاء الجهل الذي يقيد العامة لهم ليستغلوها كما يريدون، ويبتزوا أموالهم، ويسيطروا عليها، ويسخروها في شهواتهم، وكان هؤلاء العامة إذا زادت المشايخ الأحياء تزحف على وجوههم من مسافة بعيدة قبل وصول مجلسه ، أما قبور المشايخ فهي أماكن الرحمة والبركات. ترى العامة الجاهلة قبل أن تصل قبر الشيخ تتمسح بجدار مقبرته، وتخشع وتنادي به باكية يا سيدي فلان جئتك مستجيراً فاغفرلي ذنبي، واقض حوائجي ودمر أعدائي.(السحمراني ، 2007م صـ166-167.)

لقد ساهم الاعتقاد الخاطئ للعامة بدور شيوخ الطرق، وموقعهم الإسلامي في أن أعطاهم بعض الجهلة صفات من التعظيم وطلبوا منهم أموراً، كلها لا يجوز أن تكون لغير الله تعالى ومنه.

إن المتتبع لحال الطرق في أيامنا سيلاحظ بأن بعض الطرق الصوفية يدعون لأنفسهم ما لا يقبله الإسلام مما يجعل سلوكهم مسيئا للإسلام شكلاً ومضموناً، وما ذلك إلا لما دخل على الصوفية مع الزمن من بدع مفاهيم انحرفت بها عن بداية نشأتها كحركة زهدة وعبادة ورباط على الثغور في سبيل الله تعالى.

إنه يجب على الصوفية اليوم أن ينخرطوا في عداد المجاهدين في سبيل الله، وإن كان من الصوفية من يعد نفسه من أولياء الله تعالى فليتقدم المجاهدين لتحرير البلاد، ورفع الظلم، ونشر العدل، وإلا إذا كان يدعو إلى هجر الدنيا والاستسلام لواقع الحال زعماً بأنه يعمل للآخرة فإننا نقول له: لست من خاصة ولا من عامة أولياء الله تعالى ؛ لأن إهمالك للدنيا وشؤون المسلمين تخرج بك أن تكون واحداً منهم فمن لم يهتم بشؤون المسلمين فليس منهم.(السحمراني ، 2007م – صـ168-169 بتصرف.)

الخاتمة

انتهيت – بتوفيق الله تعالى – من دراسة هذا البحث والذى كان بعنوان :(دور الصوفية في الجهاد في سبيل الله) وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج وتوصيات أهمها :

أولاً : نتائج البحث :

1. **أن كلمة التصوف وما يشتق منها في اللغة تدل على عدة معان: نسبة إلى الصوف، وبمعنى التنسك والعبادة ، وبمعنى عدل؛ أي عدل عن شيء إلى شيء آخر. وبمعنى مال؛ أي مال عن شيء إلى آخر.**
2. **إن الصوفي الحق هو من يُحكِّم كتاب الله وسنة رسوله ρ في شتى مجالات حياته، هو من يأخذ بأيدي الناس إلى طريق الله ويبين لهم الحلال والحرام.**
3. **الصوفي الحق هو من يقوم لله بالليل قانتاً محتسباً، يحذر الآخرة، ويرجوا رحمة ربه تعالى، وهو بالنهار مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله ، فمن شذ عنه فليس صوفياً وانتسابه إلى المحراب الصوفى كذب وافتراء.**
4. **فَهِمَ الصوفية الأوائل ومن سار على نهجهم على مدار التاريخ أن التصوفَ تربيةٌ وجهادٌ وليس هجراً للأوطان والأولاد**
5. **وأن دور الصوفية لم يقتصر فقط على الزهد في الدنيا وزخارفها طمعاً في الآخرة ونعيمها بل انخرطوا في لجج الحياة العامة خصوصاً إن كان الأمر دفاعا عن الإسلام أو سعياً في نشر لوائه في شتى بقاع الأرض .**

ثانياً : التوصيات :

1. **يجب على الصوفية اليوم أن ينخرطوا في عداد المجاهدين في سبيل الله، وإن كان من الصوفية من يعد نفسه من أولياء الله تعالى فليتقدم المجاهدين لتحرير البلاد.**
2. **ضرورة عمل موسوعة شاملة لأعلام التصوف الإسلامي ودورهم في الحفاظ على التراث الإسلامي .**

3. ضرورة التفرقة بين أقوال الصوفية وروايات المؤرّخين عنهم ؛ لأن من أمانة العلم أن يفرق القارئ بين أقوال الصوفية موثّقة النسبة إليهم، وفهم مؤرخي الفكر وكُتّاب الطبقات لأقوال الصوفية وأفعالهم، ذلك أنه إضافة إلى ما يغلب على كتب الطبقات من بعض المبالغات، فإنها تُكتب غالباً في وقت متأخر عن حياة المؤرخ لهم فلابد من التثبت والتحقق .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي. صفة الصفوة . القاهرة : دار الكتاب العربي.

ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . بيروت: دار صادر

ابن فارس ، أبو الحسين . (1399هـ – 1979م). معجم مقاييس اللغة: ط3. بيروت :دار الفكر.

ابن عباد، إسماعيل.(1414هـ–1994م). المحيط في اللغة: بيروت ، دار عالم الكتب.

ابن عجيبة ، أحمد.(1423 هـ– 2002م).معراج التشوف إلى حقائق التصوف. ط1. القاهرة :مكتبة أم القرى .

الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد . سير السلف الصالحين .تحقيق: د. كرم بن حلمي . الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع.

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت . (1417 هـ). تاريخ بغداد وذيوله.دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . ط1.بيروت: دار الكتب العلمية .

البنا ، حسن .(1416هـ– 2005م). نظرات فى التربية والسلوك .ط2. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية .

الجيلاني ، عبد القادر.(1417هـ–1997م). الغنية لطالبي طريق الحق: ط1. بيروت : المكتبة العلمية.

الزبيدي ، محمد مرتضي . تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت ، دار مكتبة الحياة.

السحمراني، أسعد.(2007م).التصوف منشؤه ومصطلحاته . بيروت : دار النفائس .

السلمي ، عبد الرحمن .(1418 هـ –1997 م) . طبقات الصوفية .تحقيق نور الدين

شريبة.ط3.

القاهرة : مكتبة الخانجى .

الشعراني ، عبد الوهاب . الطبقات الكبرى . القاهرة: المكتبة التوفيقية .

الطوسي ، السراج . (1421هـ– 2001م) . اللمع فى تاريخ التصوف . ط1 . بيروت : دار الكتب العلمية .

الغزالي ، أبوحامد .(1394 هـ– 1974م) . المنقذ من الضلال.ط8. القاهرة : دار الكتب الحديثة.

القشيري ، أبو القاسم . (1420هـ– 1999م).التحبير في التذكير . ط1. بيروت : دار الكتب العلمية.

القشيري ، أبو القاسم . الرسالة القشيرية فى علم التصوف .القاهرة : المكتبة التوفيقية .

الكردي ، محمد أمين .(1415هـ– 1995م).تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب: بيروت، لبنان : دار الفكر .

الكلابازى ، أبوبكر محمد .(1412 هـ– 1992م). التعرف لمذهب أهل التصوف: ط3. القاهرة المكتبة الأزهرية للتراث .

منصور ، عبد العزيز .(1996م) . التصوف الإسلامي الصحيح. القاهرة .

الندوي ، أبو الحسن علي ،(1386– 1966م) ربانية لا رهبانية ، بيروت : دار الفتح.